شرح كتاب

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

-رحمه الله تعالى-

شرحها فضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

[الدرس السادس]

أعدّ هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

(أصل التفريغ لمجموعة من الإخوة)

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تَعَالىٰ:

[المتن]

وَقَدْ دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾[الصمد].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم:٢]، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1]

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبإ:٢]

[الشرح]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فبدأ شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- وشرع في ذكر الأدلة التي فيها إثبات صفات الله -جل وعلا-، وفيها تفصيل ما كان سبق أن ذكره من أن آيات القرآن فيها الجمع بين النفي والإثبات، وأيضا أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال رحمه الله تعالى: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ [اللهُ] بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ)، (قَدْ دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ)، يعني بـ(الْجُمْلَةِ) ما تقدم، وقد يحتمل أن يكون مراده بـ(الْجُمْلَةِ) قوله: (مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ [اللهُ] بِهِ نَفْسَهُ) ويكون هـٰذا تفصيل لقوله (الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ [اللهُ] بِهِ نَفْسَهُ). ثم ذكر الأدلة من القرآن التي فيها وصف الله جل وعلا نفسه.

---

[1] سورة: الأنعام الآية (١٨) و(٧٣)، سورة: سبإ (٠١).

ويحتمل أن يكون المراد ما تقدم من ذكر أن الطريقة لأهل السنة والجماعة هي الجمع بين النفي والإثبات، حيث ذكر أن طريقتهم هي أنهم يجمعون بين النفي والإثبات كما جمع ذلك الله -جل وعلا- في كتابه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

ولكن على هذا الثاني يكون فيه إشكال من جهة أنه يصدق على ما ذُكر سورة الإخلاص؛ يعني الاستدلال الأول، والاستدلال الثاني، وذلك أن سورة الإخلاص فيها نفي وإثبات، فيها النفي المجمل وفيها الإثبات المفصل، وكذلك آية الكرسي فإن فيها الإثبات المفصل وفيها النفي المجمل، ولكن ما بعد ذلك من الآي قد لا يكون فيها نفي وإثبات.

ولهذا نقول إن قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ) الأحسن والأنسب أن يكون متعلِّقا بالأول؛ وهو قوله: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)، قال: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ).

قال رحمه الله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ [اللهُ] بِهِ نَفْسَهُ) الوصف: هو النعت، يعني ما كان نعتا لله، ويراد بهذه الكلمة (مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ) ما يشمل الأسماء والصفات والأفعال، لأنها تدخل جميعا في إطلاق اسم صفات الله، فإذا قيل: صفات الله، مذهب أهل السنة في الصفات، فإنه يدخل ذلك الكلام في الأسماء، والكلام في الصفات، والكلام في أفعال الله جل وعلا.

وذلك لأن الأسماء ليست أعلاما محضة؛ بل هي من جهة أعلام دالة على الذات، مترادفة من حيث دلالتُها على الذات، ومن جهة أخرى كل اسم مشتمل على صفة من صفات الله غير الصفة التي في الاسم الآخر، فلهذا كانت الأسماء بهذا الاعتبار من الصفات.

والأفعال كذلك؛ أفعال الله جل وعلا تجمع بين -يعني فيما أخبر الله في كتابه أو أخبر عن أفعاله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجمع إطلاق الفعل عليه وإثبات الفعل له بين الحدث الذي هو المصدر وبين الزمن، وهذا -أعني الحدث- وصفٌ، مثلا في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾[المجادلة:١] هذا فعل ماض، الفعل الماضي متركب من شيئين:

- الحدث وهو السماع.
- وكون الحدث في الزمان الماضي.

ولهذا تدخل الأفعال بهذا الاعتبار في الصفات.

كذلك الفعل المضارع، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾[الزخرف:٨٠]، ﴿نَسْمَعُ﴾ هذا فعل مضارع فيه الدلالة على الحدث، وهو المصدر وهو السماع أو السمع، وفيه دلالة على زمنه وهو الحاضر؛ الحال.

ولهـٰذا في قوله هنا: (**دَخَلَ فِي هـٰذه الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ [اللهُ] بِهِ نَفْسَهُ**) يشمل الأسماء بالاعتبار الذي ذكرنا، ويشمل الصفات، ويشمل الأفعال أيضا كما أوضحت.

إذن قولنا: (إن مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات النفي المجمل والإثبات المفصل)؛ نعني به أيضا ما يدخل فيه الأسماء والأفعال أيضا، لكنّه في الصفات هـٰذا هو المقصود، وإذا ذكرت الأسماء فباعتبار أنها مشتملة على الصفة، وإذا ذكرت الأفعال فإنها باعتبار أنها مشتملة على الصفة.

قال: (**فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**) سورة الإخلاص هي سورة ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الصمد]، وتسمية سور القرآن:

- تارة يكون باعتبار ذكر كلمة في السورة ليست في غيرها.
- أو باعتبار ذكر قصة في السورة مفصلة أكثر من غيرها من السور.
- أو باعتبار المعنى الذي في السّورة.

أو غير ذلك.

وهـٰذه التسمية (سورة الإخلاص) بهـٰذا الاعتبار الثالث، وهي أنها سميت سورة الإخلاص مع أنه ليست فيها كلمة الإخلاص؛ وذلك لأنها اشتملت على الإخلاص، واشتمالها على الإخلاص من جهتين:

الأولى: أنها تورث صاحبها –أعني المتدبر لها؛ القارئ لها– الإخلاص العلمي الاعتقادي؛ لأنها صفة الله جل وعلا، وقد جاء في الصحيح أن الصحابي قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذُكر له أنه يقرأ سورة الإخلاص في مفتتح كل ركعة من الجهرية قال: **إنها صفة الرحمـٰن وإني أحبها**.[1] فهي إذن فيها وصف الله جل وعلا، ولهـٰذا من تدبّر هـٰذا الوصف صار عنده الإخلاص في العلم والاعتقاد، وتبرأ من الشرك في العلم والاعتقاد، والشرك في العلم والاعتقاد بكونه لا يوحّد الله في الأسماء والصفات، والإخلاص في العلم والاعتقاد بكونه يوحّد الله جل وعلا في الأسماء والصفات.

ومن جهة أخرى فإنها –أعني سورة الإخلاص– أُخلصت لذكر صفة الله جل وعلا، فهي مشتملة على صفة الله جل وعلا وحده ليس فيها وصف لغيره، وليس فيها خبر عن غيره، وليس فيها قصة، وليس فيها حكم؛ بل هي وصف لله جل وعلا، فقد أُخلصت لهـٰذا.

فبالمعنى الأول ظاهر الاعتبار –أعني أنها من جهة أن من تدبرها يخلص لله جل وعلا–.

وبالاعتبار الثاني أيضا المعنى صحيح لأنه يقال: أخلص الشيء يخلِّصه إخلاصا وتخليصا، بمعنى جعله متجردا لشيء دون غيره.

---

[1] **البخاري**: كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة، حديث رقم (٧٧٤).

قال هنا: (**الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**) وهـٰذا من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك فيما رواه البخاري في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، حيث إن رجلا أخبر عن رجل أنه سمعه يقرأ سورة الإخلاص هـٰذه ليلة كاملة يرددها حتى أصبح، فأخبر النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يعني ذلك الرجل أخبر النبي- كأنه يتقالُّها يعني يقول قرأ الليلة كلها بسورة واحدة يرددها، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**))،[1] وكونها تعدل ثلث القرآن وجَّهها أبو العباس ابن سُرَيج أحد أئمة الشافعية وتبعه العلماء على هـٰذا التوجيه من أن القرآن منقسم إلى ثلاثة أقسام:

- فهو إما خبر عن الله جل وعلا وصفاته.
- وإما خبر عن الأولين.
- وإما أحكام.

وقال غيرهم قالوا: إنه منقسم إلى ثلاثة أقسام:

- أحكام.
- وعقائد.
- ووعد ووعيد.

وهـٰذه السورة بهـٰذا الاعتبار هي ثلث القرآن، فإنها تعدل من هـٰذه الجهة ثلث القرآن، وكونها تعدل ثلث القرآن هـٰذا يدل على أنها أفضل من بعض القرآن؛ وذلك لأنها تعدل ثلثه، يعني من الجهة التي ذكرتُ؛ أي أنها في وصف الله جل وعلا.

وكونها تعدل ثلث القرآن؛ يعني أن فيها فضيلة على غيرها من سور القرآن، أو على غيرها من بعض سور القرآن.

وهـٰذا المعنى مما تنازع الناسُ فيه؛ يعني كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، ما وجهه؟

اختلف الناس في ذلك، والذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة؛ بل والسلف بعامة وهو شبه إجماع بينهم: أن كونها تعدل ثلث القرآن يدلّ على أنها أفضل من بعض القرآن، والقرآن بعضه أفضل من بعض، كما أن صفات الله جل وعلا بعضها يفضل بعضا، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ داعيا الله جل وعلا: ((**أعوذ**

([1]) **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم (٨١١).

برضاك من سخطك))،[1] قال أيضا مخبرا عن ربه جل وعلا: ((**إن رحمتي سبقت غضبي**))،[2] وهـٰذا يدل على أن بعض الصفات أفضل من بعض.

وأيضا بعض الصفة قد يكون أفضل من بعضها الآخر، وهـٰذا يترتب عليه أن يكون بعض القرآن أفضل من بعضه الآخر، ولهـٰذا صارت الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن، وآية الكرسي هـٰذه أعظم آية في القرآن، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن.

هـٰذا مذهب أهل السنة والجماعة في تفضيل بعض صفات الله على بعض، وتفضيل بعض القرآن على بعض.

وقال المبتدعة من الأشاعرة وغيرهم: إن صفات الله لا تتفاضل وكذلك كلامه لا يتفاضل، ومأخذ هـٰذا عندهم أنه واحد بالعين، فلا يمكن أن يفضل بعضه بعضا؛ لأنه قديم وكله واحد، كله أمر واحد، كله نهي واحد، كله خبر واحد، وإنما الذي عبر عنه جبريل فيمنعون التفاضل، وعلى هـٰذا فإنّ تفسيرهم لكون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن يُرجعونه إلى الثواب، فيقولون: هي تعدل ثلث القرآن باعتبار الثواب؛ يعني أن من قرأها يثاب، لا أنها في نفسها أفضل من غيرها.

وهـٰذا الكلام هو بعض جهة التفضيل؛ لكن ليس كل جهة التفضيل، يعني أن سورة الإخلاص نعم تفضل من جهة أن قارئها له ثواب أعظم من تلاوته لغيرها، فلا يستوي من جهة الثواب قراءة سورة الإخلاص مع قراءة سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد:١] التي هي قبلها مثلا؛ ولكن ليس هـٰذا وحده؛ بل أيضا لأن كلام الله -جل وعلا- بعضه أفضل من بعض، وأشكل عليهم هـٰذا من جهة أنّ الكلام واحد عندهم، وهـٰذا لإبطاله موضع سيأتي -إن شاء الله تعالى- عند الكلام على صفات الله جل وعلا.

وتبيين بعض ذلك أن الكلام له نسبتان:

الأولى: من جهة المتكلِّم به.

والثانية: من جهة المتكلَّم فيه.

فإن الكلام يتفاضل عند الناس في عرفهم من هاتين النسبتين:

([1]) مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٦).

([2]) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تَعَالىٰ ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، حديث رقم (٣١٩٤).
مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تَعَالىٰ وأنها سبقت غضبه، حديث رقم (٢٧٥١).

إما من جهة أن المتكلم أفضل من المتكلم الثاني: كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس ككلام أبي بكر؛ بل كلامه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أفضل من كلام أبي بكر، وذلك بالنظر إلى اعتبار أن المتكلم هو النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

الجهة الثانية المتكلَّم فيه: فيتفاضل الكلام باعتبار المتكلَّم فيه فمثلا تتكلم أنت في العلم، وتتكلم تارة أخرى في غير العلم، كلامك في العلم أفضل من كلامك في غيره؛ وذلك لأن المتكلَّم فيه أفضل.

فإذن يكون التفضيل ها هنا من جهة المتكلَّم فيه، يعني موضوع الكلام، وموضوع الكلام يجمع شيئين: المعاني والألفاظ.

فإذن في كلام الله جل وعلا (سورة الإخلاص) تفضل على غيرها، كذلك الفاتحة تفضل على غيرها، وآية الكرسي أعظم من غيرها من جهة الاعتبار الثاني.

من جهة المتكلِّم، المتكلِّم بالجميع هو الله جل وعلا، فمن هـٰذه الجهة لا تفضيل؛ لأن الجميع كلام لله جل وعلا، لكن من جهة المتكلَّم فيه فإن:

سورة الفاتحة مثلا فيها أصول ما في القرآن من العلوم والهداية.

آية الكرسي صفة الله جل وعلا، أعظم آية في القرآن لما فيها من الإخبار عن الله جل وعلا في وحدانيته في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونعوت جلاله وعظمته وجبروته ونحو ذلك.

سورة الإخلاص من جهة ما تعلقت به من جهة ما فيها من المعنى هي أفضل من سورة مثلا ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام وغيره؛ لأنها متعلقة بأسماء الله -جل وعلا- وصفاته ونعته، وتلك خبر عن بعض المتوعَّدين من خلقه، ولا شك أن الكلام عن صفة الله أفضل من الكلام عن خلق الله.

فإذن جهة التفضيل موجودة، والقرآن بعضه أفضل من بعض، ومن أنكر ذلك فإنه مناقض لكلام السلف، وقد قال جل وعلا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[البقرة:١٠٦] وفي القراءة الأخرى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ ننسأْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة:١٠٦]، وقوله هنا: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ مطلق يحتمل أن تكون الخيرية في الحكم أو أن تكون الخيرية في الموضوع في الفضل، ولهـٰذا قال بعدها: ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ وذلك بالاعتبار الثاني.

وعلى هـٰذا تكون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن بهـٰذا المعنى المتركب من شيئين:

وهو أنها أفضل من غيرها باعتبار ما فيها من صفة الله.

وأيضا هي أفضل من غيرها باعتبار ما يترتب من الثواب لقارئها، هـٰذا ما قرره أئمة أهل السنة والجماعة في ذلك.

قال رحمه الله بعد ذلك: (فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)﴾[الصمد]) هـٰذه السورة عظيمة جدا من جهة معناها، عظيمة جدا لأنها تتعلق بصفة الله جل وعلا لهـٰذا يقول العلماء: (شرف العلم بشرف المعلوم)، يشرف العلم بشرف المعلوم، فما هو المعلوم؟ هنا المعلوم بهـٰذه السورة هو الله جل وعلا؛ لأنها صفة الرحمـٰن سبحانه؛ ولأنها اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة.

قال سبحانه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، و﴿قُلْ﴾ هـٰذه من الأدلة لأهل السنة على أن القرآن حرف وصوت وأن جبريل قد سمعه على هـٰذا النحو فبلَّغه على نحو ما سمع.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هـٰذه السورة لنزولها سبب، وقد قال بعض المفسرين: إنها مكية. وقال آخرون: إنها مدنية. ولنزولها سبب وقد اختلفوا في سببه نذكر الأقوال ثم بعد ذلك نأتي للإسناد:

قال بعضهم: إن المشركين قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُنسب لنا ربك، فنزلت هـٰذه السورة.

قال آخرون: نزلت في الجواب عن سؤال اليهود حيث قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: من أي شيء ربك؟ من أي شيء إلهك؟ فنزلت.

وهناك أقوال غير هـٰذه في سبب النزول، والمعتمد هو الأول وهو ما رواه الترمذي وابن جرير وجماعة من أهل العلم كثير من أن سبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُنسب لنا ربك أو أنسب لنا إلهك فنزلت هـٰذه السورة.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إذن هـٰذه السورة في بيان صفة الله جل وعلا، قال جل وعلا: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأولئك المشركين أو لأولئك اليهود والنصارى ﴿هُوَ﴾ يعني الذي سألتم عنه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿اللهُ﴾ هـٰذا علم على المعبود بحق سبحانه، وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ هـٰذه أصلها من (وَحَد) من الوحدانية، والأَحدية جاءت في القرآن تارة منفية وتارة مُثبَتَة، فأما المنفية فهي لغير الله جل وعلا وأما المثبتة فهي لله جل وعلا، يعني أن لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ لم يطلق في الإثبات على غير الله جل وعلا؛ ولكنه في النفي -إما الصريح أو المضمَّن- فإنه يطلق على غير الله جل وعلا، كما قال هنا: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[التوبة:٦]، ونعني بالنفي الذي ذكرناه: النفي أو ما يكون له معناه عند البلاغيين وهو الشرط والاستفهام ونحو ذلك، قال: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾[التوبة:١٢٧]، هـٰذا استفهام له مقام النفي ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾ هـٰذا شرط أيضا له معنى النفي، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هـٰذا نفي.

فإذن كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ أتت في القرآن في سياق النفي أو الاستفهام أو الشرط وهـٰذه لغير الله جل وعلا.

أما في الإثبات، فهي لله جل وعلا لا تطلق على هـٰذا الوجه بدون نفي إلا لله جل وعلا، ﴿قُلْ هُوَ﴾ الذي سألتم عنه ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿أَحَدٌ﴾ بمعنى الواحد الذي لم يشركه شيء في وحدانيته، وأحدية الله –جل وعلا– يعني وحدانيته في: ربوبيته وفي إلهيته وفي أسمائه وصفاته.

نقول: واحد في ربوبيته لا شريك له؛ أي لا مشارك، لا وزير له، لا معاون له، وهـٰذه كلها ادعاها المشركون، وهو واحد جل وعلا في إلهيته لا شريك له فيها؛ أي استحقاق العبادة، وهو واحد جل وعلا في أسمائه وصفاته لا مثيل له ولا نظير ولا كفؤ ولا سمي له في أسمائه وصفاته.

فإذن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هـٰذا يشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

هنا بعدها بين جل وعلا بعض التفصيل لكلمة ﴿أَحَدٌ﴾، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هـٰذا مبتدأ ﴿الله﴾، خبره ﴿الصَّمَدُ﴾، ويقول علماء البلاغة: إن الخبر إذا جاء معرفا بالألف واللام فإنه يقتضي الحصر ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يعني الذي ليس صَمَد إلا هو، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يعني الله الذي لا يستحق الصمدية إلا هو، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يعني هو الذي قُصِرت عليه وحُصِرت فيه معاني الصمدية على وجه الكمال، وأما البشر فإنهم يقال عنهم فلان صمد، فلان صمد إذا كان يصمد إليه –ويأتي معنى ذلك إن شاء الله تعالى–.

إذن فقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فيها حصر الصمدية حصر الصمْد في الله جل وعلا، فالله من أسمائه ﴿الصَّمَدُ﴾.

فما معنى ﴿الصَّمَدُ﴾؟

المفسرون من السلف اختلفوا في تفسيرها، على قولين مشهورين، وكل قول فيه تفاصيل، وأيضا القول منهما يدل على الآخر بنوع من الدّلالة.

أما **القول الأول**: فهو أن ﴿الصَّمَدُ﴾ هو الذي لا جوف له، ﴿الصَّمَدُ﴾ كما جاء عن ابن مسعود ورويت عنه موقوفة ومرفوعة أيضا لكن لا يصح المرفوع، وأيضا رويت عن ابن عباس، وعن جماعة من مفسري السلف بأن ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له، وهـٰذا بمعنى أنه لا يتخلل ذاته جل وعلا شيء؛ بل هو جل وعلا واحد بالذات، والمخلوقات غير الملائكة لها جوف يدخل فيها ما يدخل ويخرج منها ما يخرج، ويلدون ويحمل منهم من يحمل ويلد من يلد، ويأكلون ويشربون ويتغوطون، وهـٰذه كلها من صفات النقص.

ولهـٰذا فسرها بعضهم بأن ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لا يأكل ولا يشرب، وقال بعضهم: ﴿الصَّمَدُ﴾ تفسيره ما بعده، وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهـٰذه كلها في المعنى واحدة وهو أن ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف

له؛ لأن الأكل والشرب يحتاج إلى جوف يمرّ فيه، وكذلك الولادة تحتاج أن تخرج من جوف. والله جل وعلا (صمد) ﴿**اللهُ الصَّمَدُ**﴾.

هٰذا هو المعنى الأول.

وهٰذا قال ابن قتيبة وابن الأنباري هٰذا مأخوذ من (الصَمَت) بالتاء، فكأن الدال هنا في قوله ﴿**الصَّمَدُ**﴾ مبدلة من التاء، من الصمْت أو المصمت من الشيء المصمت فهو الذي لا شيء في داخله، قالوا الدال مبدلة من التاء.

وهٰذا رده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقال: ليس هٰذا بوجيه بل الأولى أن يحمل هٰذا على الاشتقاق الأكبر وهٰذا صحيح، لأن ﴿**الصَّمَد**﴾ والصَمَت يعني المصمت و ﴿**الصَّمَدُ**﴾ بينهما اشتقاق أكبر، فبينهما اتصال في المعنى.

أما **القول الثاني**: وهو أيضا مروي عن ابن عباس وجماعة كثير من المفسرين من السلف فمن بعدهم[1] أنّ ﴿**الصَّمَدُ**﴾ هو الذي كَمُل في صفات الكمال، وهو الذي يستحق أن يُصمَد إليه في الحوائج؛ يعني يُسأل ويُطلب ويرغب فيما عنده، وهو الذي يأتي بالخيرات وهو الذي يدفع الشرور عن من يَصمِد إليه.

وهٰذا مروي من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في صحيفة التفسير الصحيحة المعروفة، حيث قال: ﴿**الصَّمَدُ**﴾ هو السيد الذي كَمُل في سؤدده، الشريف الذي كمل في شرفه، العظيم الذي كمل في عَظمته، الحليم الذي كمل في حلمه، العليم الذي كمل في علمه.

يعني أن ﴿**الصَّمَدُ**﴾ هو الذي اجتمعت له صفات الكمال، وعلى هٰذا هو الذي يُصمَد إليه؛ يعني يُتوجه إليه بطلب الحوائج إما بجلب المسرّات أو دفع الشرور والمضرّات، وهٰذا معروف من جهة الاشتقاق من جهة الصَّمْد، صَمَدَ إلى الشيء بمعنى توجه إليه، وقد جاء في السنن أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان إذا صلى إلى عمود أو إلى سارية لم يَصْمُدْ إليه صَمْدا وإنما جعله عن يمينه أو عن يساره.**[2] وهٰذا الحديث استدل به شيخ الإسلام في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم في موضع وفي إسناده ضعف؛ لكن المقصود هنا الشاهد اللغوي، كان لا يصمد له، بمعنى لا يتوجه إليه صمدا، يتوجه إليه دون غيره بمعنى يكون مقابلا له متوجها له دون ما سواه، وهٰذا إنما هو لله جل وعلا.

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الرابع.

[2] سنن أبي داوود: كتاب الصلاة، باب إذا صلى إلى سارية أو نحوها أين يجعلها منه، حديث رقم (٦٩٣). قال الشيخ الألباني: ضعيف.

أما المخلوق فإنه وإن صُمِدَ إليه، بمعنى إن تُوُجِّه إليه في الحاجات فهو أيضا يحتاج إلى أن يصْمُد وأن يَصْمِد إلى غيره، أما الله جل وعلا فهو الذي كملت له أنواع الصمود، وهو أنه الذي لا يستغني شيء عن أن يتوجّه إليه وعن أن يصمِد إليه، وهو جل وعلا مستغنٍ عن أن يَصْمِد إلى شيء.

ولهـٰذا فسّرها من فسرها من السلف قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ هو المستغني عما سواه، الذي يحتاج إليه كل ما عداه. فسرت ﴿الصَّمَدُ﴾ بذلك، وهـٰذا يعني أن الصمدية راجعة إلى صفة الله أولا ثم إلى فعل العبد، يعني العباد هم الذين يصمدون إليه.

فإذن على هذين التفسيرين يكون قوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ فيها صفة الله جل وعلا -القول الأول-، والثاني فيها أنواع صفات الله جل وعلا؛ لأن معنى ﴿الصَّمَدُ﴾ السيد الذي قد كمل في سؤدده، الشريف الذي كمل في شرفه؛ يعني ﴿الصَّمَدُ﴾ من كملت له صفات الكمال، وهـٰذا ثابت في حق الله، وأيضا على هـٰذا يكون ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي يُصمَد إليه في الحوائج، فيكون على هـٰذا التفسير يكون قد جمعت كلمة ﴿الصَّمَدُ﴾ بين توحيد الأسماء والصفات وبين توحيد الإلهية؛ لأن الذي يُصْمَد إليه وحده في الحوائج، يُرغب إليه وحده، يُطلب منه السؤال وحده، يُحتاج إليه وحده، هو ﴿الصَّمَدُ﴾ وهو الله جل وعلا، وفي هـٰذا رد على المشركين الذين ألهوا غير الله أو وصفوا الله جل وعلا بصفات النقص من اليهود والنصارى والمشركين ومن شابههم.

قال هنا: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ما قبلها وهي كلمة ﴿الصَّمَدُ﴾ ذكرت لكم أن منهم من فسرها بما بعدها وهي قول: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

كلا المعنيين صحيح ورجح شيخ الإسلام أن المعنى الأول والثاني متلازم، متلازم هـٰذا وهـٰذا، هـٰذا يلزم هـٰذا وهـٰذا يلزم هـٰذا.

قال هنا: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهـٰذا نفي، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يعني لم يخرج منه ولد فيرثه في ملكه، وقوله: ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ يعني لم يخرج من شيء فيكون هو وارثا له، بل هو جل وعلا المستحق للملك بذاته، هو جل وعلا ذو الملكوت، هو صاحب ذلك المستحق له لم يحتج جل وعلا إلى غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وهـٰذا النفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ كما قررتُ لك فيما سلف في الدرس الماضي أنّ النفي في الكتاب والسنة إذا كان في صفات الله فإنه لا يكون مدحا إلا إذا اقتضى إثباتَ الصفة، وهـٰذه الصفة التي تُثبت هي ضد الصفة المذكور نفيها، وهنا نُفيت عن الله جل وعلا صفتان: صفة أنه يلد، وصفة أنه يولد.

وهاتان الصفتان هما في المخلوق من صفات النقص لا من صفات الكمال؛ لأن المخلوق يحتاج في إيجاده إلى أن يُحمل به، ويحتاج هو إلى أن يلد حتى يبقى. فإذن كونه ولد وكونه يولد، هـٰذا من صفات النقص فيه؛ لأنها دليل على عدم استغنائه، دليل على حاجته، دليل على فقره دليل على ضعفه.

وهـٰذا منتفٍ عن الله جل وعلا، فإذن ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ هـٰذا نفي وهـٰذا النفي يراد به إثبات كمال ضده، وكمال ضد هـٰذا النفي هو كمال غنى الله جل وعلا، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لِمَ؟ لكمال غناه ولكمال صمديته -الذي هو بالمعنى -، ولكمال جبروته ولكمال قهره جل وعلا ولكمال صفاته.

فإذن ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيها إثبات لكمال صفة مضادة لهـٰذا، وهي صفة الغنى لله جل وعلا وعدم الاحتياج، بخلاف المخلوقين الذين يحتاجون إلى أن يولدوا ويحتاجون إلى أن يَلدوا وهم محتاجون إلى كلتا الجهتين في كل مخلوق يلد ويولد.

قال بعدها: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هـٰذا النفي مجمل؛ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وما قبله إثبات مفصّل، وهـٰذا أحد الأدلة على أنّ القرآن فيه النفي المجمل وفيه الإثبات المفصّل.

أما الإثبات المفصل في هـٰذه السورة فهو قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿أَحَدٌ﴾ فيها إجمال؛ لكنها باعتبار أفرادها -أنواع التوحيد الثلاثة- يكون ذلك مفصّلا، وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ما يشمله من الصفات، كذلك باعتبار أفرادها يكون مفصلا.

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هـٰذا نفي مجمل.

أما قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فهل يعد من النفي المفصل؟ هـٰذا الجواب عنه أن هـٰذا النفي من جنس ما في القرآن من النفي، وهو أنه لا يراد به تفصيل النفي وإنما يراد به إثبات كمال الضّد، ومعنى ذلك أن النفي إذا ورد في القرآن مفصلا فهو محمول على الإثبات المفصل؛ لأن المراد منه إثبات كمال الضد، وكمال الضد في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ هي صفة الغنى التام وأنواع الكمال في الأوصاف وهـٰذا من الإثبات المفصل.

قال هنا: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿أَحَدٌ﴾ هـٰذه اسم ﴿يَكُنْ﴾، لم يكن كفُوا له أحدٌ، لم يكن كفوا له أحد، هـٰذا السياق، هنا قال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فقدم خبر ﴿يَكُنْ﴾ على اسمها لأنه هو المقصود، فالمقصود نفي المماثلة، نفي أن يكون ثم كفؤ وليس المقصود الإخبار، ليس المقصود أنْ يثبت لغيره المشابهة، وإنما المقصود أنه ليس له كفوا أحد، وهـٰذا من أسرار التقديم، فإنه إذا كان الخبر أهم فإنه يقدَّم، إذا كان هو المقصود يكون مقدّما؛ لأن المقصود بالإخبار تارة يكون المبتدأ وتارة في النفي يكون الخبر.

قال هنا سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ-يعني لهـٰذا الذي وصف؛ لله جل وعلا-كُفُوًا﴾ و﴿كُفُوًا﴾ فيها قراءتان:

- قراءة هـٰذه قراءتنا بضمتين الكاف مضمومة والفاء مضمومة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾.
- وأما قراءة غير حفص فإنه يقرؤها-مثل نافع وغيره- يقرؤونها بالإسكان ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا﴾.

فمن الغلط أن تُقرأ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾ لمن يقرأ بقراءة حفص عن عاصم؛ يعني برواية حفص عن عاصم.

(الكفو) المنفي هنا ذكرنا لكم معناه فيما سبق وهو أن (الكفو) المثيل والنظير والشبيه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:١٦٥]، و(**الأنداد**) جمع ند وهو الكفء والنظير والمثيل، وذكرت لكم قول الشاعر:

أتهجوه ولستَ له بكفءْ ....

حسان في مدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني ولست له بند، فالكفو والكفؤ من المكافأة وهي المساواة، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يعني لم يكن له ندا، لم يكن له نظيرا، لم يكن له مثيلا، لم يكن له سميا.

﴿أَحَدٌ﴾ و﴿أَحَدٌ﴾ هنا نكرة في سياق النفي فهي تعم كل من صدق عليه اسم أحد في النفي، تعم كل أحد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يعني من خلقه، فلا أحد يكافئه ولا يماثله؛ لا في ذاته جل وعلا ولا في صفاته ولا في أسمائه، فإنه لا مثيل له ولا نظير ولا مكافئ ولا عِدْل، تبارك ربنا وتقدس وتعاظم.

هـٰذه السورة فيها إذن إثبات الصفات.

وهـٰذه السورة يفسرها من يفسرها من أهل البدع بتفسيرات مختلفة:

فمثلا الأحدية عندهم يقولون: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، (**الأحد**) هو الواحد بالذات، المتنزه عن الأبعاض والأركان والجهات، هـٰذا مثلا تفسير من تفاسير المبتدعة.

أو يقولون: (**الأحد**) هو الواحد في ذاته لا قسيم له، ويعنون بذلك أن ذاته غير منقسمة، وهـٰذا ليس هو معنى الأَحدية؛ لأنهم يريدون بذلك نفي الصفات التي هي بالنظر إلى كل صفةٍ صفة فإنها تكون غير الأخرى، فالوجه من الذات ولكنه غير اليدين.

فإذن إذا قالوا: (واحد في ذاته لا قسيم له) يريدون أن ينفوا عنه الصفات الذاتية كالوجه واليدين ونحو ذلك.

تفاسير المبتدعة في هـٰذا كثيرة جدا، ولا شك أن هـٰذه السورة في وصف الله جل وعلا بما اشتملت عليه مما تؤلف فيه مؤلفات طويلة تحتاج إلى بسط وتطويل في بيان ما تحمله كلماتها من المعاني العظيمة، فلا شك أنها تعدل ثلث القرآن.

وقد قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: إن الأخبار التي فيها أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن تبلغ مبلغ التواتر.

وهـٰذا لعظمها وعظم شأنها، فلا غرو إذن أن يتلوها النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في أحيانه كلها عند الصباح والمساء، وكثيرا في النوافل، وفي الوتر وركعتي الفجر وركعتي الطواف، وفي كثير من أحيانه لأنها صفة الله جل وعلا.

نقف عند هـٰذا لأن آية الكرسي تحتاج أيضا إلى بسط.

وقد ذكرنا شيئا من التفصيل على سورة الإخلاص لأهمية ذلك، وأسأل الله -جل وعلا- أن ينفعني وإياكم بما سمعنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

۞۞۞۞